

خصوصيّة الوسيلة الحسينية
في الهداية والسلوك الى اللّه

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail:info@imamhussain-lib.com

خصوصيّة الوسيلة

الحسينية

في الهداية والسلوك الى اللّه

بقلم

عرفان محمود

إصدار

وحدة النشر الثقافي

شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

جدول محتويات

المدخل: الروح الحسينية في الجهاد الأصغر

للتفاعل الوجداني الصادق مع قضية سيد الشهداء عليه السلام آثار مباركة عظيمة على حركة الإنسان المسلم في كلا «جهاديته: الأصغر والأكبر»[١].

فله آثارٌ مشهورة في «الجهاد الاصغر» وتأجيج روح الرفض للظلم والفساد بمختلف أشكاله ومجاهدة الطواغيت مهما بلغت التضحيات، إذ إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام جسّدت نموذجا أسمى في هذا

---

١ اقتباس من الحديث النبوي الشهير: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سرية فلما رجعوا، قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر، قال: جهاد النفس» مستدرك الوسائل، ٢: ٢٧٠ من الطبعة القديمة.

الجهاد والإصرار المبدئي عليه في ظل أشد الأوضاع المضادة صعوبة، فأصبحت قدوة رائدة ونقية، وينبوعاً لتفجير الروح الثورية التضحوية، وقد سجل التأريخ الإسلامي - بل والإنساني عموماً - الكثير من مصاديق تجليها منذ «ثورة التوابين» وإلى اليوم وهي مستمرة الى الثورة المهدوية الكبرى التي تتفجر بشعار «يا لثارات الحسين» كما يصرح بذلك العديد من الأحاديث الشريفة المروية عن أهل بيت النبوة عليهم السلام.

وليس الأمر بحاجة الى مزيد من الاستدلال خاصة في عصرنا الحاضر الذي شهد - وما زال - العديد من كبريات مصاديق التأسي بالثورة الحسينية في أرجاء العالم الإسلامي بصورة مباشرة ؛ فمنذ البداية شكلت الشعائر والمنابر الحسينية منطلقات تعبوية رئيسة لاتباع أهل البيت عليهم السلام تحركهم لتحقيق الاهداف الحسينية؛ فكان أبناء المذهب يندفعون للتضحية في سبيله بإقبال غريب لم يشهد التأريخ نظيراً له في عمقه واتساعه، والشواهد على ذلك كثيرة يحفل بها ما تم تدوينه من وقائع الثورات والحركات

الشيعية، وما خفي منها أكثر.

وآثار التفاعل الوجداني مع النهضة الحسينية في ميادين الجهاد الأصغر كثيرة تفوق الإحصاء وقد دونت بشأنها الكثير من الدراسات والكتب والمقالات خاصة في العقود الأخيرة.

الاستقواء للجهاد الأكبر

وللتفاعل الوجداني مع هذه النهضة الإلهية المقدسة آثار مشهودة في «الجهاد الأكبر»، وتقوية موقف الإنسان في مواجهة أعدائه الغيبيين (الشيطان وجنوده وعلى رأسهم النفس الأمارة بالسوء) وإزالة العقبات المثارة في سبيله إلى الله تبارك وتعالى وإيصاله إليه جلَّ وعلا وليس هدايته وحسب.

والآثار في هذه الميادين كثيرة وكثيرة جداً، اختزنتها وتختزنها صدور الكثير من المؤمنين، أحجم ويحجم بعضهم عن الإفصاح عنها ضنّة بسر الحبيب، وأفصح ويفصح بعض آخر لثلةٍ قليلة فتتناقلها الصدور باعتزاز، وقد تم تسجيل القليل والقليل جداً منها ورغم ذلك فهو كثير متناثر في طيات الكتب.

ولكن - وعلى أي حال - صرحت الكثير من الأحاديث الشريفة بمكامن هذه الآثار المباركة في القضية الحسينية وقدرتها على إيصال الإنسان إليها وجعله يفوز بها، فهي رحمة واسعة كريمة من رب الحسين - سلام الله عليه - الذي جعل عبده ووليه الذي باع له كل ما يملك وسيلة عظمى إليه تعالى.

ونحاول - بمعونة الله سبحانه وبما يتسع له هذا الكتيب ان نثبت الخطوط العريضة لما تحدده الأحاديث الشريفة من دور الوسيلة الحسينية في إنقاذ الإنسان من الظلمات وهدايته الى الصراط المستقيم ودورها في الحركة السلوكية وطي منازل السير الى الله عز وجل وسبل التقرب بها إليه والتعرض لنفحاته وجذباته المقدسة، وكل ذلك بحسب ما ندركه منها وليس بحسب واقعها، فالسر الإلهي في هذه الوسيلة المقدسة عظيم لا تدرك معظم أفهامنا إلا النزر اليسير من أبعاده.

الخصائص الحسينية

في بداية الحديث من الضروري أن نشير الى أنّ الأحاديث الشريفة تكشف عن ميزة خاصة اختص

بها اللّه تبارك وتعالى الإمام الحسين عليه السلام بدور وتأثير خاصين في الهداية إليه والتقريب منه جلّ وعلا من بين جميع الوسائل الإلهية والأبواب المقدسة الأخرى، فله عليه السلام مزايا وخصوصيات تفرد بها من بين جميع قادة الإسلام المعصومين - صلوات اللّه عليهم أجمعين-[١]، رغم أنّ بعضهم أفضل منه كما تصرح بذلك النصوص الشرعية، إلا أن الأحاديث الشريفة تكشف عن تخصيص لوسيلته في الهداية للّه تبارك وتعالى وبلغة صريحة.

يقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء قدس سره: «... وقد كان لنفس النبي صلى اللّه عليه وآله ولذوات الأئمة سلام اللّه عليهم علقة خاصة بالحسين بخصيصةٍ وليست لبعضهم مع بعض، فلقد كانت لهم لهجة خاصة في ذكره يعرفها من أنس بأخبارهم

---

١ تعرض الشيخ جعفر الشوشتري - رضوان اللّٰه عليه - لتبيان هذه الخصائص وبلغةٍ استدلالية في كتابه «الخصائص الحسينية» الذي يُعتبر من أفضل الدراسات في هذا الباب، وهو مطبوع بالعربية مراراً في الهند والعراق وايران ولبنان ومترجم الى العديد من اللغات.

ووقف على بعض أسرارهم، وهذه ميزة قد امتاز عليه السلام بها، ومزية قد تفرد هو بها.

وكانوا صلوات اللّه عليهم جميعاً يشيرون الى أن الحسين عليه السلام هو مستودع السر الإلهي الذي يستبين به الدين ويميز اللّه به الخبيث من الطيب والحق من الباطل... وما تبين الرشد من الغي والهدى من الضلال إلا بالحسين - سلام اللّه عليه -، وإلا فقد ارتبك الأمر بعد النبي صلى اللّه عليه وآله على عامة المسلمين واختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل، سيما بعد صلح أخيه الحسن - سلام اللّه عليه - الذي كان أيضاً بأمر من اللّه سبحانه.

ولكن نهض الحسين - سلام اللّه عليه - تلك النهضة الباهرة فقشع سحب الأوهام وانتزع النور من الظلام، وأصحر بالهدى لطالبه وبالحق الضائع لناشده.

وهذه احدى المزايا التي امتاز وتفرد بها، وكان من قبله من الأئمة ومن بعده يشيرون إليها ويدلون الناس عليها، وكانت نسبته إليهم في ذلك على حدّ قول القائل:

ولست ترى في محكم الذكر سورة
تقوم مقام «الحمد» والكل قرآن

ويتفرع من هذه المزية مزايا تفوق حدّ العد ويحصر عنها لسان الحصر... »[1].

الإجماع على خصوصية الهداية الحسينية

والأحاديث الشريفة المصرحة بالمكانة الخاصة لسيد الشهداء عليه السلام في الهداية والتقريب من اللّه والإيمان به كثيرة لا تنحصر بما يرويه علماء الشيعة عن أهل بيت النبوة - صلوات اللّه عليهم أجمعين - بل تشمل الكثير مما رواه علماء مختلف طوائف المسلمين عن سيد الرسل صلى اللّه عليه وآله وفي مجاميعهم الروائية المعتبرة عندهم[2].

---

١ الآيات البينات في قمع البدع والضلالات للشيخ كاشف الغطاء، القسم الاول: ٢٦، طبعة دار المرتضى .

٢ راجع مثلاً صحيح البخاري ٧: ٧٧، وسنن الترمذي ٤: ٢٣٩، وسنن ابن ماجة ١: ٥١، ومسند احمد ٣: ٤٩٣، ومستدرك الحاكم ٣: ١٧٧، وكنز العمال للمتقي الهندي ١٣: ١١١، وترجمة الإمام الحسين عليه السلام كاملة في هذه المصادر وفي تأريخ دمشق لابن عساكر وسير أعلام

وهذا يكشف عن أن الرسول الأعظم صلى اللّه عليه وآله أكمل حجته الإلهية البالغة على جميع المسلمين في بيان خصوصية دور سبطه الحسين الشهيد في حفظ قيم شريعته الخاتمة ودفع تحريفات المبطلين عنها، وإيقاد نبراس الهداية والإيصال الى اللّه تبارك وتعالى، وسنشير لاحقاً الى مدلولات نماذج من الأحاديث الشريفة المروية لدى الفريقين بهذا الصدد.

كما أنّ الأحاديث الشريفة المصرحة بهذه المكانة الخاصة لسيد الشهداء تصرح بشمول وسيلته في الهداية للّه تبارك وتعالى بمختلف مستوياتها ومراتبها فلا غنى لأحد عنها مهما بلغت مرتبته الكمالية وحتى الأنبياء والأولياء، كما هو ملاحظ في قصة لقاء كليم اللّه موسى عليه السلام بالخضر عليه السلام، وقصة تضحية ابراهيم بابنه اسماعيل قرباناً للّه تبارك وتعالى.

إذن فدور هذه الوسيلة يشمل الهداية للّه تبارك وتعالى في إطارها العام كما تشمل الإيصال الى اللّه عز

النبلاء للذهبي، ومناقب آل أبي طالب، وحلية الأولياء وغيرها .

وجل بالمعنى الخاص، أي في الحركة السلوكية وطي معارج الكمال الإنساني ومدارج القرب الإلهي.

الهداية الى الله في إطارها العام

على مستوى الهداية الى الله تبارك وتعالى في إطارها العام نلتقي بعددٍ كبير من النصوص المصرحة بخصوصية التوسل بالإمام الحسين عليه السلام استهداءً به ووصولاً للحق؛ وهي تصرح بأن الله عز وجل هو الذي خصّه بهذه المكانة وجعله نبراساً للهدى، كما ينص على ذلك الحديث القدسي الذي يرويه صاحب كامل الزيارات في انّ رب العزة خاطب رسوله الاكرم صلى الله عليه وآله بشأن الحسين عليه السلام : «... بورك من مولودٍ عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني، ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناوأه ونازعه أما إنّه سيد الشهداء من الأولين والآخرين؛ في الدنيا والآخرة وسيد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين، وأبوه أفضل منه، وبشره بأنه راية الهدى، ومنار اوليائي، وحفيظي وشهيدي على خلقي، وخازن علمي، وحجتي على أهل السماوات

وأهل الأرضين والثقلين؛ الجن والإنس»[١].

وهذا الحديث القدسي صريح في الكشف عن تعلق الإرادة الإلهية بجعل سيد الشهداء حجة إلهية عامة تشمل الجميع فهو «راية الهدى» التي تشع بالهداية الإلهية للجميع، وتخص الأولياء وخلّص المؤمنين بالمزيد من الإضاءات تنير لهم درب الوصول الى زلفى ربهم الكريم؛ فهو «منار أوليائي».

بل وأكثر من ذلك تصرح الأحاديث الشريفة بأن دور الوسيلة الحسينية لا ينحصر في الهداية الى الله تبارك وتعالى بل يتسع ليشمل الأخذ بأيدي العباد وإنقاذهم من الظلمات ونقلهم الى النور، فهو «سفينة النجاة» إضافة الى كونه «مصباح الهدى»، كما ينص على ذلك الحديث الشريف المروي عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: «... والذي بعثني بالحق نبيا، إنّ الحسين بن علي في السماوات أعظم مما في الأرض وقد كتب الله في يمين العرش: إن الحسين مصباح

---

١ كامل الزيارات؛ جعفر بن محمد بن قولويه: ٧٠، طبعة النجف الأشرف، بحار الأنوار ٤٤: ٢٣٨ .

الهدى وسفينة النجاة...»[١].

التعريف بالشريعة المحمدية

وثمة حديث شريف مشهور مروي في المجاميع الروائية لأهل السنة والشيعة يشتمل على دلالات مهمة بشأن دور الوسيلة الحسينية المقدسة في الهداية الى الله تبارك وتعالى وتمييز الحق عن الباطل، وهو قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين» أو «أنا من حسين وحسين مني»[٢]، والحديث مروي بهاتين الصيغتين في مجاميع أهل السنة والشيعة.

وللعلماء في مضمون هذا الحديث تفسيرات عديدة غير متعارضة ويمكن أن تصح جميعا ضمن عدة مستويات؛ فهو يشتمل على اسرار إلهية عديدة بصدد

---

١ أمالي الصدوق، المجلسي ٨٧: ٤٧٨ من طبعة قم المقدسة، وقريب منه في عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٦٠، طبعة قم المقدسة .

٢ سنن ابن ماجة ١ : ٥١، وبحار الأنوار ٤٣ : ٢٩٥ والحديث مروي في مصادر اخري كثيرة .

مكانة القضية الحسينية في الحياة الإسلامية وأحدها ما يرتبط بموضوع حديثنا؛ إذ إنّ التدبر في مضمون هذا الحديث الشريف يقود الى ادراك ان نسبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله نفسه القدسية وانتماءه الى سبطه الحسين عليه السلام يرتبطان بالدور التضحوي الخاص الذي نهض به سيد الشهداء وحفظ به رسالة جده الأعظم من التحريف الأموي وتزييف عباد السلطة لحقائقها وقيمها.

وكيف لا وهؤلاء كانوا يتميزون غيظاً وحنقاً من ذكر اسم محمد صلى الله عليه وآله (أو ابن أبي كبشة حسب وصفهم) خمس مرات كل يوم وليلة جهاراً في الأذان، ولما عجزوا عن محو ذكره علناً عمدوا الى تحريف دينه وطمس معالم شريعته، وفي ذلك قتلٌ له صلى الله عليه وآله من نمط آخر وأخطر بكثير من النمط الأول.

فدفع سيد الشهداء هذا الخطر عن الوجود المحمدي وأحياه وبعثه ثانية فانطلق الذكر المحمدي الأصيل «من الحسين» ثانيةً وعلى نفس المنهج الرباني الذي انطلق به الإمام الحسين «من محمد صلى الله عليه وآله».

فأوقد سيد الشهداء بدمه الزكي وتضحياته المباركة نبراس هدى حفظ الوجود الإلهي ودحر مؤامرات أعدائه؛ بمعنى أنّ اللّه تبارك وتعالى جعل - برحمته الواسعة - الإمام الحسين الشهيد مرجعاً للمسلمين - بل لعموم بني الإنسان بلحاظ عالمية الرسالة المحمدية - يهديهم الى معرفة الحق المحمدي وتمييزه عن الباطل الأموي بعدما حجبته عن الأبصار الدعايات الاموية المكثفة، الأمر الذي يتضح لكل من درس الأجواء السياسية والاجتماعية والفكرية التي فرضت على الأمة الإسلامية بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام والتي اضطرت ابنه الإمام الحسن عليه السلام الى مصالحة معاوية واستمرت ورافقت نهضة الإمام الحسين، فمزقها سيد الشهداء بثورته التضحوية الاستشهادية.

الحماية من ضلالات التحريف

لقد نشطت حركة التحريف منذ وصول معاوية للسلطة بدرجة كبيرة[1]، وعمدت الى مسخ مختلف

---

١ يراجع ما رواه المؤرخون بصدد وقائع عهد معاوية، كالسيوطي في كتابه «تأريخ الخلفاء» حيث ذكر بعض

القيم الدينية وهوية الخلافة الإسلامية وتحويلها من القيادة الربانية التي تقود المسلمين - بل وعموم المجتمع الإنساني - الى الكمال ومراتب السعادة الحقيقية، وتقيم العدالة والاحكام الإلهية في جميع نواحي الحياة الإنسانية الى السلطة الطاغوتية المقتدية بدين قيصر وكسري لتحكم - باسم الإسلام وخلافة نبيه الاكرم - بالشهوات وتعيث في الأرض فسادا وتظلم العباد وتصدهم عن عبادة الله تبارك وتعالى وانوارها الى عبادة الطاغوت وظلماتها دون ان يعترضها من ينهاها عن المنكر ويأمرها بالمعروف؛ اذ شهرت سيف الطغيان وحراب القتل والعدوان على كل من يعترض على سياساتها الشيطانية واهوائها النفسانية، اشار الى ذلك سيد الشهداء عليه السلام نفسه في خطبته التي القاها على علماء المسلمين الذين جمعهم في مكة المكرمة قبيل بدء موسم الحج وأتم عليهم الحجة في وجوب النهضة بوجه يزيد[1].

تحريفات معاوية وبدعه .

١ ينقل هذه الخطبة التأريخيةالمهمة الشيخ الثقة ابن

إنّ دراسة هذه الخطبة وحدها والتدبر في الصورة التي يرسمها فيها سيد الأباة عليه السلام لأوضاع المسلمين يومذاك وتقاعس علمائهم عن القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجابهة التحريف الأموي؛ تكفي من كان بصيراً لإدراك الصورة القاتمة التي كان سيؤول إليها وضع المسلمين - لولا النهضة الحسينية - والمصير الذي سيصبح عليه وجه الإسلام، حيث لم يكن سيبقى منه سوى رسمه واسمه - إذا بقيا -، الأمر الذي كان سيعني إغلاق أبواب معرفة الحق وتمييزه عن الباطل بسبب تقاعس علماء المسلمين عن المجاهرة به خشية على انفسهم من طغيان الحراب الاموية.

كما أن دراسة هذه الخطبة تكفي في إدراك عظمة تضحية الإمام الحسين عليه السلام بكل شيء لفتح أبواب الهداية الإلهية وبقائه «مصباح الهدى الإلهي» إلى الأبد ببركة تضحيته الجسيمة التي لم يكن غيره

شعبة الحراني في كتاب «تحف العقول»: ١٦٨ من الطبعة الخامسة - النجف الاشرف .

قادراً عليها في ظل تلك الاوضاع الارهابية كما يتضح لكل مَن درس خصوصيات نهضته التضحوية.

يقول الشيخ كاشف الغطاء: «... وكذلك من أعطى التدبر حقه وأمعن النظر في أسباب انتشار مذهب التشيع وارتفاع رواقه لم يجد سبباً وسراً جوهرياً سوى شهادة أبي عبد الله صلوات الله عليه بذلك الشكل الغريب والوقع الهائل، ولولا شهادته سلام الله عليه لكانت الشريعة اموية ولعادت الملة الحنيفية يزيدية...»[1].

كشف حركة الأحاديث الموضوعة

لقد حالف النصر الإلهي المبين سيد الشهداء عليه السلام بعدما انتصر بكل وجوده لله تبارك وتعالى ولرسوله ولشريعته بأسمى وأصدق صور التضحية، وأزال عنه حجب التحريف الأموي الذي تكفينا اليوم لمعرفة سعة أبعاده مراجعة الأوامر التي أصدرها معاوية بشأن وضع الأحاديث بما يتناسب مع أهداف المسخ والطغيان الإلحادي وكتب مؤرخي المسلمين بمختلف اتجاهاتهم

---

١ الآيات البينات في البدع والضلالات، القسم الاول: ٢٦ .

تنقل روايات ونصوص هذه الأوامر، كما أن الأحاديث التي تطفح برائحة الوضع والتحريف الأموي - وتحريف من جاء للسلطة بعد الأمويين من عبادها الطواغيت - ليست بالقليلة ويمكن مراجعتها لمعرفة الآثار التخريبية الواسعة التي كانت ستؤدي إليها في صد العباد عن سبيل اللّه تبارك وتعالى؛ وما كان بإمكاننا اليوم معرفة أنّها موضوعة لولا الهداية الحسينية ولولا النهضة التضحوية التي فجرها سيد الشهداء وجهز المسلمين عبرها بنبراس إلهي يهديهم الى كشف زيفها وتمييز باطلها ومعرفة الدين الحق.

الولاء الخاص بالحسين عليه السلام

هذا الدور الخاص لسيد الشهداء عليه السلام في حفظ الإسلام جعله مرجعاً للهداية لا مناص لطالب الحق من الرجوع إليه والارتباط به بولاء خاص واجتناب أعدائه والبراءة منهم كما تدعو لذلك الأحاديث الشريفة، وهذا الولاء وإن كان يجب توفره تجاه جميع أئمة الهدى - صلوات اللّه عليهم - إلا أن فيه تجاه الحسين عليه السلام ميزة خاصة يتضح أحد أسرارها مما تقدم وإن

كانت الإحاطة بجميع أسرارها محالة بالنسبة لنا فهو عليه السلام «مستودع السر الإلهي».

يقول المرحوم كاشف الغطاء: «فحقاً أقول: إنّ الإسلام علوي والتشيع حسيني، أقول وحقاً ما أقول: إنّ من ليس له حبل ولاء خاص الى علي صلوات اللّه عليه فليس من الإسلام على شيء، ومن ليس له حبل ولاء خاص بالحسين سلام اللّه عليه فليس من التشيع على شيء، ولعل من هنا تجد أن لكل شيعي علقة خاصة مع الحسين ليست له مع غيره من سائر الأئمة - سلام اللّه عليهم - مع أنّه يعتقد بإمامتهم وفرض طاعتهم، نعم وقد كان لنفس النبي صلى اللّه عليه وآله ولذات الأئمة عليهم السلام علقة خاصة بالحسين بخصوصه»[1].

فطرية التعلق به

ولكن العلقة الخاصة التي يكتنفها القلب تجاه سيد الشهداء لا تنحصر بالشيعة بل تشمل كل مسلم وكل إنسان عندما يعرف شيئاً عن مظلوميته عليه

---

١ الآيات البينات في البدع والضلالات القسم الاول: ٢٦.

السلام وكأنها علقة فطرية تقتضيها الفطرة السليمة.

صحيح أنّ ارتباط الشيعة به عليه السلام أقوى بحكم أنّه حفظ بدمه الزاكي مذهبهم الذي يرونه تجسيداً للإسلام المحمدي الأصيل واستجابةً عملية لوصية الرسول الأكرم صلى اللّه عليه وآله بالتمسك بالعترة الطاهرة من أئمة أهل البيت - صلوات اللّه عليهم أجمعين - الى جانب التمسك بالقرآن الكريم بل لا منجاة من الضلال إلا بالتمسك بهما معاً كما ينص على ذلك حديث الثقلين الشهير والمتواتر لدى جميع طوائف المسلمين؛ إلا انّ من الصحيح أيضاً أن قوة البعد الإنساني في نهضته ومظلوميته وخلوص ونقاء الدافع الإلهي في تضحيته - إضافة الى اختصاصات إلهية أخرى - تجذب إليه كل من سمع شيئاً عنه عليه السلام وبحركة طوعية تدل على فطريتها.

الشواهد على هذه الحقيقة كثيرة وكثيرة جداً بعضها وقع في حياته الظاهرية كما في قصة عصام بن المصطلق الشامي الأموي الذي كان يناصب أهل البيت العداء الحقود ودخل المدينة على هذه الحال من

البغض لهم ثم وبنظرة واحدة لسيد الشهداء وكلمات معدودات منه عليه السلام عندما التقى به عاد وما على وجه الأرض أحب إليه من الحسين وأبيه[١].

وكما في قصة الحر بن يزيد الرياحي أحد قادة الجيش الأموي الذي نفذ مهمة الحيلولة دون وصول ركب سيد الشهداء الى الكوفة وجعجع به الى صحراء كربلاء، حيث انتقل من صف قيادات جيش الضلال الأموي الى صف قيادات عساكر الحسين[٢].

والحالات المماثلة بين المسلمين بعد استشهاده تفوق الإحصاء وهي مستمرة الى يومنا هذا لم تنقطع في أي عصر من العصور وهي مشهورة يتداول المؤمنون قصصها.

أما بالنسبة لغير المسلمين فالشواهد كثيرة أيضاً بعضها وقع أيضاً قبل شهادته عليه السلام - كما في

---

١ المصدر السابق: ٢٨ .

٢ قصة مشهورة مذكورة في جميع كتب المقاتل، يراجع كتاب «اللهوف في قتلى الطفوف» للسيد ابن طاووس: ٣٣، ٤٤ – ٤٥، طبعة مكتبة الشريف الرضي المصورة عن الطبعة النجفية .

قصة النصراني وهب بن عبد اللّه الكلبي الذي أسلم هو وأبوه وأُمه وزوجته في يوم الطف بعدما التقى سيد الشهداء عليه السلام من غير ميعاد فبايعه وقاتل معه وفاز هو أبوه وأمه بسعادة نصرة الحسين والشهادة بين يديه[1].

وبعضها وقع بعد مصرعه عليه السلام كما في قصة الراهب النصراني عندما نصب الأمويون رأس الإمام على رمح الى جانب صومعته وهم في مسيرهم بسبايا آل الرسول الى الشام؛ «ففي أثناء الليل سمع الراهب تسبيحاً وتهليلاً ورأى نوراً ساطعاً من الرأس المطهر، وسمع قائلاً يقول: السلام عليك يا أبا عبد اللّه، فتعجب حيث لم يعرف الحال، وعند الصباح استخبر من القوم فقالوا: إنه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت محمد النبي صلى اللّه عليه وآله فقال لهم: تباً لكم أيتها الجماعة، صدقت الأخبار في قولها: إذا قتل تمطر السماء دما. واراد

---

١ المصدر السابق: ٤٥ – ٤٦، وكتاب «انصار الحسين»: ٩٥، طبعة بيروت .

منهم ان يقبّل الرأس فلم يجيبوه إلا بعد أن دفع لهم دراهم، ثم أظهر الشهادتين وأسلم ببركة المذبوح دون الدعوة الإلهية، ولما ارتحلوا عن هذا المكان نظروا الى الدراهم وإذا مكتوب عليها: ﴿..وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[1].

العامل الإعجازي في الهداية

وقد نقلنا هذه الحادثة - التي ينقل أرباب المقاتل حوادث عديدة مماثلة لها طوال مسيرة السبايا - بشيء من التفصيل للتنبيه الى العامل الإعجازي الذي أحاطت به الإرادة الإلهية الوسيلة الحسينية لتعاضد العامل الإنساني القوي فيها للهداية الى اللّه تبارك وتعالى، وفي ذلك مزيد من توسيع أبواب الرحمة الإلهية عبر باب الحسين عليه السلام وتنبيهاً لأُولي القلوب الحية للتوسل الى اللّه بها؛ والعامل الإعجازي الذي نجده في أسماع هذا الراهب تسبيح وتهليل رأس الحسين وجعله

---

١ «مقتل الحسين» للسيد عبد الرزاق المقرم: ٣٤٧. والآية ٢٢٧ من سورة الشعراء .

يشاهد الأنوار الساطعة منه نراه يتكرر في عدد من الحوادث المماثلة، نظير هداية الراهب النصراني الذي حضر مجلس يزيد عند إدخال الرأس المقدس عليه وانتصاره لسيد الشهداء حيث أفصح بعدما أمر يزيد بقتله عن سر هدايته ببركة الحسين عليه السلام بقوله مخاطباً يزيد: (اعلم أنّي رأيت البارحة نبيكم في المنام يقول: يا نصراني أنت من أهل الجنة، فتعجبت من كلامه! واشهد ان لا اله إلا اللّه وان محمدا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله...) ثم وثب الى رأس الحسين فضمه الى صدره وجعل يقبله ويبكي حتى قتل[1].

واستمرت هذه البركات الحسينية على مدى العصور وبتظافر هذين العاملين: الاعجازي والإنساني في الوسيلة الحسينية المقدسة؛ فمثلاً نلاحظ حادثة يوحنا النصراني الذي كان من الاطباء المقربين لبلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد حيث شاهد واقعة بالغة الدلالة في آثار الاستشفاء بتربة الإمام الحسين

---

١ اللهوف: ٨٣ – ٨٤ ضمن رواية عن الإمام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام.

عليه السلام وعواقب انكار هذه الآثار فدفعه ذلك الى تعرّف الإمام الحسين مستهدياً بوسيلته المقدسة الى اللّه فأخذ «يوحنا يزور قبر الحسين عليه السلام وهو على دينه ثم أسلم وحسن إسلامه»[1].

وامثال هذه الحوادث كثيرة تفوق الإحصاء أيضاً وقد عاصرنا في العقود الأخيرة عدداً منها عن قرب وشاهدنا من النصارى من أسلم ببركة الوسيلة الحسينية، حتى أن أحدهم أصرّ على إعلان إسلامه في شهري محرم وصفر لارتباطهما بالإمام الحسين وعندما سُئل عن سبب ذلك علله بأن سيد الشهداء كان سبب هدايته وهو يرغب أن يخلد ارتباط إسلامه بأيام الحسين، وبالفعل اُقيم حفلٌ تأبيني لسيد الشهداء اُجريت خلاله مراسم إعلان إسلامه في مسجد المؤسسة المذكورة.

وإذا كان النصارى ﴿... أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾[2] وتأثرهم بالهداية الحسينية أقرب أيضاً.

---

١ كتاب لآلي الاخبار: الشيخ محمد نبي التويسركاني ٤: ١٢٧ – ١٢٨، طبعة المكتبة المحمدية – قم المقدسة .

٢ المائدة: ٨٢ .

فإنّ بركات وسيلة سيد الشهداء شملت حتى اليهود الذين تطغي عليهم صفة كونهم ﴿... أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾[1]، فنجد في كتب التأريخ حوادث تكشف عن استهداء عدد من اليهود ونجاتهم بفضل الوسيلة الحسينية، نظير الحادثة التي ينقلها ابن أعثم في كتاب الفتوح بشأن اعتراض أحد أحبار اليهود - الذين حضروا مجلس يزيد عند إدخال الرأس المقدس - على الجريمة الاموية وانتصاره للمظلومية الحسينية وتحمله أذى السلطة الأموية بسبب موقفه هذا حيث قال: (إن شئتم فاضربوني أو فاقتلوني أو قرروني، فإني أجد في التوراة أنّه من قتل ذرية نبي لا يزال مغلوبا أبداً ما بقي...)[2].

الجذبة في الوسيلة الحسينية

ومن القضايا المهمة التي نلاحظها في هذه الحوادث وأمثالها، والتي ترتبط بحديثنا عن خصوصية الوسيلة الحسينية في الإنقاذ من ظلمات الضلال

١ المصدر نفسه .

٢ معالم المدرستين، السيد مرتضى العسكري ٣: ٢٠٠ .

والهداية الى أنوار التوحيد هي حالة «الجذبة» التي تميز دورها الإنقاذي حيث تحقق للإنسان من الثمار دفعة واحدة وفي مدة يسيرة ما لا يتحقق بغيرها من أعمال الخير إلا بصورة تدريجية وفي مدة طويلة، فهي تنقل المعادي لأهل بيت النبوة - صلوات الله عليهم - من غياهب ظلمات هذا العداء وبصورة فورية الى رحاب أنوار محبتهم وموالاتهم، وتنقل النصراني واليهودي والهندوسي من ظلمات الأديان المنسوخة الى أنوار الشريعة التوحيدية الخاتمة.

والغريب أنها عندما تنقلهم وتخرجهم من الظلمات الى النور ترفعهم - دفعة واحدة - الى مراتب عالية من الإيمان وموالاة الحسين عليه السلام والبراءة من أعدائه وتجعلهم على أكمل الاستعداد للتضحية بكل شيء في سبيل نصرة باب هدايتهم الى الله تبارك وتعالى كما لاحظنا في قصة وهب وقصة الحر وقصة النصراني واليهودي في مجلس الطاغية يزيد عليه لعائن الله وملائكته وأنبيائه ورسله.

وهذه من الخصوصيات البارزة في دور الوسيلة

الحسينية في الإنقاذ سنلتقي ببعض مظاهرها أيضاً خلال الحديث عن دور هذه الوسيلة في خصوص العملية السلوكية، وإن كانت تمثل قاسماً مشتركاً يشمل دورها في الهداية بإطارها العام ودورها في عملية طي منازل السلوك الى الله تبارك وتعالى.

أفضل الأعمال المقربة لله

ولعل هذه الخصوصية هي أحد أسرار تأكيد الأحاديث الشريفة أفضلية التوسل بالحسين على سائر أعمال الخير كما ينص على ذلك الفقهاء؛ فالسيد الخميني يقول في جواب أحد الاستفتاءات: «إقامة مراسم العزاء الحسيني من أفضل الأعمال المقربة لله تعالى»[1].

ونلاحظ أنّ الأحاديث الشريفة تذكر من الثواب للتوسل بسيد الشهداء عليه السلام ما لا تذكر مثيلاً

---

١ استفتاءات از محضر إمام خميني ٢: ٢٨ طبعة مركز النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في حوزة قم المقدسة .

له في عظمته لأي من أعمال الخير الأخرى[1]، والى درجة جعلت المجاميع تعنون جانباً من الأحاديث الواردة في هذا المجال بعناوين من قبيل «باب وجوب زيارة الحسين»، «باب حد وجوبها في الزمان على الأغنياء والفقراء»، «في استحباب زيارة الحسين ووجوبها كفاية»، «في كراهة ترك زيارة الحسين عليه السلام»، «باب في استحباب اختيار زيارة الحسين عليه السلام على جميع الأعمال»[2].

وما يصدق على الزيارة يصدق على سائر أعمال التقرب لله بسيد الشهداء كمعرفته وحبه والبكاء على مظلوميته وإقامة مراسم العزاء عليه، فهي جميعاً تحظى بهذا التفضيل والثواب الخاصين اللذين يفوقان ثواب

---

١ المزار للشيخ المفيد: ٣٧، ٤١ - ٤٨، طبعة مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف - قم المقدسة، مستدرك الوسائل ٢: ١٩٨ - ٢٢٣ من الطبعة القديمة والروايات في هذا الباب كثيرة مروية في معظم المجاميع الروائية (أبواب الزيارة) والموسوعات الفقهية ضمن أبواب المزار من كتاب الحج.

٢ يُراجع مثلاً مزار الشيخ المفيد ومستدرك الشيخ النوري.

ما هو أكثر مشقة من وسائل التقرب به عليه السلام.

وهذا من الأسرار الإلهية ومن الخصائص الباهرة التي اختص به الله تبارك وتعالى الوسيلة الحسينية في التقرب إليه[١].

سفينة الحسين عليه السلام أسرع

وتذكر الأحاديث الشريفة عدداً من أسرار تفضيل هذه الوسيلة المقدسة على غيرها من أعمال الخير المقربة لله عزّ وجل، كضمان آثارها وسهولة شروط تحققها مقارنة بالاعمال الصالحة الأخرى، كما يفصل الحديث عن ذلك الشيخ جعفر الشوشتري، استناداً لمدلولات هذه الأحاديث المعتبرة، فنراه يقول في خطاب وجداني مؤثر: «إنّي أمعنت النظر في الوسائل المتعلقة بالأئمة عليهم السلام فرأيت أجلها فائدة وأعظمها مثوبة وأعمها نفعاً وأرفعها درجة وأسهلها حصولاً واكثرها طرقا وايسرها شرائط واخفها وأعمها معونة ما يتعلق بسيد شباب أهل الجنة ووالد الأئمة

---

١ الخصائص الحسينية، الشيخ جعفر الشوشتري: ١٤٠ – ١٦٠، طبعة دار السرور – بيروت .

السيد المظلوم أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فرأيت له خصوصية في التوسل الى الله قد تفرد بها، وامتاز في ذلك حتى عمن هو أفضل منه، فإنّ للتفاوت في الفضيلة مقاماً ولوحدتهم مقاماً، نورهم وطينتهم مقام، والخصوصيات مقام آخر، فرأيت في الحسين عليه السلام خصوصية في الوسيلة الى الله اتصف بسببها بأنه - بالخصوص - باب من أبواب الجنة وسفينة للنجاة ومصباح للهدى.

فالنبي والأئمة عليهم السلام كلهم أبواب الجنان لكن باب الحسين أوسع، وكلهم سفن النجاة لكن سفينة الحسين مجراها في اللجج الغامرة أسرع، ومرساها على السواحل المنجية أيسر، وكلهم مصابيح للهدى لكن الاستضاءة بنور الحسين أكثر وأوسع، وكلهم كهوف حصينة لكن منهاج كهف الحسين اسمح واسهل.

فعند ذلك خاطبت النفس وشركاءها فقلت: هلمّوا الى هذه الأبواب الحسينية فـ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾[1]، والى مرساة هذه السفينة الحسينية فـ﴿ ...

---

١ الحجر: ٤٦ .

ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

ولتكتحل أعينكم بنور الحسين عليه السلام الناظر إليكم؛ ثم ازدادوا شوقاً وصمموا العزم على ذلك؛ لأنّي استشعرت من نفسي علائم الإيمان التي يئست منها سابقاً، وعثرت بهذه الخصائص على الأعمال الصالحة»[٢].

في جهاد السلوك الى الله تعالى

وكل ما تقدم من خصوصيات التوسل بسيد الشهداء عليه السلام في الهداية الى اللّه تبارك وتعالى بإطارها العام يصدق على طي منازل السير والسلوك إليه عز وجل أيضاً، بل وللوسيلة الحسينية خصوصية أخص تتميز بها عن غيرها من الوسائل الشرعية لطي معارج الكمال والوصول الى ذي المعارج جل وعلا.

وهذه الحقيقة مشهودة بوضوح في الأحاديث

---

١ هود: ٤١ .

٢ الخصائص الحسينية: ٢٣ – ٢٤ .

الشريفة الكثيرة الواردة بشأن هذه الوسيلة المقدسة، فهي تشتمل على الكثير من الإشارات الصريحة في تأكيد قوة آثار التوسل بسيد الشهداء - سلام الله عليه - في تحقيق أُمهات ثمار الجهاد السلوكي الأكبر للوصول الى الحق جلّ وعلا، ونحن نشير هنا الى أربع ثمار مهمة لهذه الآثار السلوكية حسبما تتحدث عنها الأحاديث الشريفة.

5 ĀDžǩŧ YŧyŨFp ƸØHu ă qǩŧ - Č

التطهر من الذنوب شرط اساسي لتلقي الفيض الإلهي والتأهل لطي منازل العروج الى الله تبارك وتعالى ولذلك صنف أهل المعرفة والسلوك «التوبة» على رأس بدايات منازل السلوك[1]؛ والهدف منها هو حصول هذا التطهر المطلوب.

وقد جعل الله عز وجل - برحمته الواسعة - الكثير

---

١ يُراجع كتاب منازل السائرين للمولى عبد اللّه الأنصاري وشرحه للمحقق عبد الرزاق الكاشاني ويُلاحظ أنّ المناجاة الاولى من الخمس عشرة المروية عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام هي مناجاة التائبين .

من الوسائل الشرعية لغفران الذنوب والتطهر منها، ويستفاد من الأحاديث الشريفة أنّ من أنجح هذه الوسائل تمتين الارتباط بالعترة الطاهرة عليهم السلام واهمها التفاعل الوجداني مع مظلوميتهم، كما يشير لذلك الحديث الشريف المروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَن ذكرنا - أو ذُكرنا عنده - فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه ولو كانت اكثر من زبد البحر»[1].

وهذا الأمر يختص بدرجة أشد مع مصيبة سيد الشهداء وهي المصيبة الأعظم، كما تصرح بذلك الأحاديث الشريفة نظير المروي عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «ما من أحد قال في الحسين عليه السلام فبكى أو ابكى إلا أوجب الله له الجنة وغفر له»[2].

---

١ قرب الاسناد للشيخ الجليل عبد الله بن جعفر الحميري: ٣٦، طبعة مؤسسة آل البيت عليهما السلام - قم المقدسة، والأحاديث في معناه بخصوص مظلومية الإمام الحسين عليه السلام كثيرة مذكورة في أبواب ثواب الاعمال وأبواب الزيارات من المجاميع الروائية .

٢ الخصائص الحسينية: ٢٤٦، وثواب الاعمال للشيخ

ونلاحظ في هذا الحديث تصريح الإمام - سلام اللّه عليه - لجعفر بن عثمان الذي أنشده رثاءً للحسين عليه السلام بأن اللّه تعالى أوجب له الجنة وغفر له «في ساعتك هذه» بمعنى شدة اثر البكاء على الحسين في فورية غفران الذنوب والتطهر لتلقي الفيض الإلهي، وهذا ما يفسر حالة «الجذبة» التي تختص بها الوسيلة الحسينية في الرقي الى معارج الكمال والتي اشرنا إليها سابقا، فهي تطهر المؤمن وتجعله مستعدا لطي معارج القرب.

فاذا استثمرها ورقى بها هذه المدارج وصل الى بغيته قبل أن يتلوث ثانية بالغفلة والذنوب، ولذلك تؤكد الأحاديث الشريفة تقوية التوجه للّه تبارك وتعالى عند البكاء على الحسين والتوسل به - سلام اللّه عليه - والإكثار من الدعاء في هذه الحال وعدم تضييع الأنوار الناتجة منها والتطهير الحاصل فيها.

ويستفاد من الأحاديث الشريفة أنّ هذه الثمرة لا تنحصر بالبكاء على الحسين - سلام اللّه عليه - وإن كان

الصدوق: ١٠٨، طبعة قم المقدسة.

البكاء من أفضلها تأثيراً فهي تشمل محبته ومعرفته وإقامة مجالس العزاء وإحياء أمره وزيارته، فمثلاً بصدد زيارته عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الرجل ليخرج الى قبرالحسين – صلوات الله عليه – فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنوبه...»[1].

ʃNÙɯDzǩŁ ƠǿƛǨǵƍ ƞǅNÙūƷƛ ɛNÙĀǩŁ - č

الثمرة السلوكية للتوسل بسيد المظلومين - سلام اللّه عليه - هي الفوز برعاية خاصة من أهل بيت النبوة - صلوات اللّه عليهم أجمعين - في إيصال السالك الى بغيته، وهذا ما يصرح به العديد من الأحاديث الشريفة نظير المروي عن سيد المرسلين صلى اللّه عليه وآله أنه قال: «ضمنت على الله وحق عليّ أن أزور من زاره، فآخذ بعضده فأنجيه من أهوال القيامة وشدائدها حتى اصيره في الجنة»[2]، **وقال:** «إذا كان يوم القيامة فكل

---

١ كتاب المزار للشيخ المفيد : ٤٢ ، ومستدرك الوسائل: ٢٠٠ حيث نقل العديد من الروايات بهذا المضمون، ويراجع ثواب الاعمال أيضا .

٢ الخصائص الحسينية: ١٥٧، نقلاً عن كامل الزيارات: ٥٨ .

من بكى على مصائب الحسين عليه السلام أخذنا بيده وادخلناه الجنة»[١].

وهذا الحضور في يوم القيامة له آثاره في الحياة الدنيا أيضاً يتجسد في معرفة السالك فيها على اجتناب ما يوقعه في أهوال القيامة، وإضافة الى ذلك فإنّ الأحاديث الشريفة تصرح بوقوع هذه الآثار في الحياة الدنيا أيضاً، فقد ورد في الحديث الشريف أنّ الإمام الحسين: «في يمين العرش، ينظر الى مصرعه ومن حلّ فيه وينظر الى معسكره، وينظر الى زواره وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله من أحدكم، وإنّه ليرى من يبكيه فيستغفر له، ويسأل آباءه أن يستغفروا له ويقول: أيها الباكي لو تعلم ما أعد الله لك لكان فرحك أكثر من جزعك»[٢].

ويصرح عدد آخر من الأحاديث الشريفة بأنّ التوسل بسيد الشهداء - سلام اللّه عليه - يعود على صاحبه

---

١ بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٢ .

٢ الخصائص الحسينية: ٣٨، نقلاً عن كامل الزيارات: ٣٢٩.

بثمرة كبرى هي الحشر مع أهل بيت النبوة - صلوات الله عليهم - يوم القيامة ومَن كان معهم في الحياة الآخرة كان معهم أيضاً في الحياة الدنيا يعينونه على التقرب لربه الكريم، يقول الإمام الرضا عليه السلام: «مَن ذرفت عيناه على مصاب جدي [الحسين عليه السلام] حشره الله يوم القيامة معنا وفي زمرتنا»[1].

ηDžƘƲǩƗ ηǿӇǩâƗ ƝƸdžǰǩƗ ƘÊƪƣƽƗ - Ď

الثمرة السلوكية للتفاعل الوجداني مع سيد الشهداء - صلوات الله عليه - هي الفوز بالرعاية الإلهية الخاصة فقد صرح بذلك العديد من الأحاديث الشريفة، نظير المروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إن الحسين عليه السلام صاحب كربلاء قُتل مظلوماً مكروباً عطشاناً لهفاناً، فآلي الله عز وجل على نفسه ان لا يأتيه لهفان ولا مكروب ولا مذنب ولا مغموم ولا عطشان ولا من به عاهة ثم دعا عنده وتقرب بالحسين بن علي عليهما السلام الى الله عز وجل اِلاّ نفّس الله كربته واعطاه مسألته وغفر ذنوبه، ومدّ في عمره

---

١ المصدر السابق: ٢٤١ .

وبسط في رزقه»[١]، وتفصل الأحاديث الشريفة العديد من المصاديق الأخرى للرعاية الخاصة التي يحوط اللّه تبارك وتعالى المتوسل إليه بسيد المظلومين - سلام اللّه عليه -، ومنها الفوز بصلاة اللّه تعالى على الباكي على الحسين عليه السلام حيث روي عن الرسول الأعظم صلى اللّه عليه وآله أنّه قال: «ألا وصلى الله على الباكين على الحسين رحمةً وشفقة»[٢].

وتجمل بعض الأحاديث الشريفة الأُخرى الاطار العام لهذه الرعاية الإلهية بإيصال المؤمن لبغيته، نظير المروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال ضمن جوابه عن استفتاء بصدد استحباب الاستنابة لزيارة الحسين عليه السلام: «..وخروجه بنفسه أعظم أجراً وخيراً له عند ربه، يراه ساهراً الليل له تعب النهار؛ ينظر الله إليه نظرة توجب له الفردوس الاعلى مع محمد وأهل بيته فلتتنافسوا في ذلك وكونوا مع أهله»[٣].

---

١ بحار الأنوار ٩٨: ٤٦، وبمضمونه العديد من الأحاديث الاُخري يُراجع مثلاً ثواب الاعمال: ١٢٣ .

٢ بحار الأنوار ٤٤: ٣٠٤ .

٣ مستدرك الوسائل ٢: ٢٠٥ .

ونلاحظ أنه عليه السلام لم يذكر (توجب له الجنة) بل (الفردوس الأعلى مع محمد وأهل بيته)، وفي ذلك تصريح برفعة المقامات التي يبلغها المتوسل بسيد الشهداء بفضل الله ورحمته وهذا من اسرار الخصائص الحسينية المصرح بها في الكثير من الأحاديث الشريفة.

ď - ƸʒƴǬǩƚ Æə ǭƸƚơ ƚ ƚǩÆƸƙ

الملاحظة السابقة التي تنقلنا للحديث عن الثمرة السلوكية الأهم للتفاعل الوجداني الصادق مع القضية الحسينية، وهي المرتبطة بغاية السير والسلوك الى الله تبارك وتعالى؛ أي الفوز بقرب الله، وقد صرحت بحصولها بهذه الوسيلة الكثير من الأحاديث الشريفة، فمثلاً روي عن الإمام الصادق - سلام الله عليه - انه قال: «مَن أتى الحسين عارفاً بحقه كتبه الله في أعلى عليين»[1].

وتتذكر الأحاديث الشريفة عدداً من مصاديق هذه المراتب السامية التي يبلغها السالك الى الله تبارك وتعالى بتوسله العرفاني الصادق بسيد الشهداء - سلام

---

١ المصدر السابق ٢ : ٢٠٣، وثواب الاعمال: ١١٠ .

اللّه عليه - ومن هذه المراتب ما يأتي:

Ǵ‖ƸŪ Ǽə Żƚ ƝƷǨǣ :ǺǩƿȅƗ

فعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «مَن زار قبر الحسين عليه السلام بشاطيء الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه»[1] **وتختص زيارته يوم عاشوراء بمرتبة أعلى ضمن هذا المقام السامي، ولعل ذلك ثمرة اجتماع آثار الزيارة والبكاء في أعلى درجاته بحكم شدة التفاعل مع مظلومية سيد الشهداء والبراءة من أعدائه في ذكرى يوم شهادته، فعن الإمام الصادق - سلام اللّه عليه - قال:** «مَن زار قبرالحسين بن علي عليهما السلام يوم عاشوراء عارفاً بحقه كان كمن زار الله في عرشه»[2]، **وقال:** «... مَن زاره [يعني الحسين عليه السلام] يوم عاشوراء حتى ظل عنده باكياً حزيناً كان كمن استشهد بين يديه حتى يشاركهم في منازلهم في الجنة»[3].

---

١ المصدر السابق، وثواب الاعمال: ١١٠ .

٢ المصدر السابق ٢ : ٢١١ ، والمزار للشيخ المفيد : ٥٨ – ٥٩.

٣ المصدر السابق .

Żł Ǻǩł ƹŏǲǩł :ŋǾǲǨŖǩł

ومنها مرتبة (النظر الى اللّه) والاستغراق في سبحات جلاله وجماله، وهي غاية آمال العارفين ومنية السالكين وقد روي انه: «من سره أن ينظر الى الله يوم القيامة وتهون عليه سكرة الموت وهول المطلع فليكثر زيارة قبر الحسين عليه السلام...»[1].

والذي يمكن قوله بصدد هذه المرتبة هو أنها تعني زوال الحجب - حتى حجب النور - بين العبد وربه الكريم فيرى من مظاهر جلاله وجماله ما لا يراها المحجوبون، ومن النصوص المهمة الكاشفة عنها ما ورد في المناجاة العظيمة المعروفة بالمناجاة الشعبانية التي كان يواظب الأئمة المعصومون جميعاً - صلوات اللّه عليهم - على تلاوتها[2].

وهذه المرتبة هي ثمرة التطهر من الذنوب والموالاة الحقة للعترة النبوية الطاهرة والبراءة العملية

---

١ المصدر السابق ٢: ٢٠٣ .

٢ الإقبال بالأعمال الحسنة للسيد ابن طاووس: ٦٨٥، من الطبعة القديمة .

من أعدائها من الجن والانس الظاهرين والغيبيين ،وذروة تجسد هذه الموالاة والبراءة تتجسد في التمسك بالوسيلة الحسينية لشدة وضوحها في التمسك بمنهج العترة الطاهرة ولذلك ورد تأكيد هذه الموالاة والبراءة في مختلف النصوص المروية لزيارة سيد الشهداء؛ يقول الإمام الباقر - سلام الله عليه - في بيان الإطار العام للحقيقة السابقة: «مَن سره أن لا يكون بينه وبين الله حجاب حتى ينظر الى الله وينظر الله إليه، فليتول آل محمد ويبرأ من عدوهم ويأتم بالإمام منهم، فإنّه إذا كان كذلك نظر الله إليه ونظر الى الله...»[1].

ǨΣϷ ʒŰ Żƚ ɳϸŸƘŢǫ :ɳŘƙƘŘƙƚ

ومنها أن يفوز بمرتبة (محدثي الله) السامية فيجد اللذة العظيمة للكلام الإلهي ويكون قلبه وعاءً صالحاً لأن «يناديه الله» كما تشير الى ذلك المناجاة الشعبانية آنفة الذكر، فعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «من زار الحسين ابن علي عليهما السلام عارفاً بحقه كان من محدثي الله تعالى فوق عرشه»، ثم

---

١ قرب الإسناد : ٣٥١ .

قرأ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[١].

وتصرح الأحاديث الشريفة بأنّ التوسل بالوسيلة الحسينية - بالصورة المطلوبة الحقة - تطهر المؤمن وتؤهله لأن يناجيه اللّه، فتعي أُذنه القلبية هذه المناجاة؛ يقول الإمام الصادق عليه السلام مشيراً إلى تأثير هذه الوسيلة في غفران الذنوب والتطهر والتأهل لوعي المناجاة الإلهية: «إنّ الرجل ليخرج الى قبر الحسين – صلوات الله عليه – فله اذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنوبه، ثم لا يزال يقدس بكل خطوة حتى يأتيه، فاذا أتاه ناجاه الله تعالى فقال: عبدي سلني اُعطك، ادعني اُجبك، اطلب مني اُعطك، سلني حاجة اُقضها لك...»[٢].

ǫÊ ŧ ǩł ǴǾǬŪ ǰǿ ŧ Ʈǩł ƸƕłƷǩ Żł ɲƷƘæƐ :ŋūƛłƸǩł

ومنها أن يفوز بمرتبة (الذين يزورهم اللّه) كما ورد

---

١ مستدرك الوسائل ٢: ٢٠٣، والآيتان من سورة القمر: ٥٤ – ٥٥.

٢ المزار للشيخ المفيد: ٤١، ومثله في ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ١١٧، وفي ذيله قال عليه السلام: «وحق على اللّه أن يعطي ما بذل».

في الأحاديث الشريفة التي يشير إليها الشيخ جعفر الشوشتري، ثم يقول بصدد توضيح حقيقة ثمار التقرب لله تبارك وتعالى بالوسيلة الحسينية في هذا الباب:

(وأما الصفة الخاصة التي تحصل للزائر بمقتضى الأخبار وينبغي ذكرها مستقلة فهي: إن مَن زار الحسين فقد زار الله في عرشه، وهو كناية عن نهاية القرب الى الله والترقي الى درجة الكمال.

وفوق هذه الصفة صفة اُخرى؛ أنه يدرك بها زيارة الرب، فإنّه قد ورد أنه يزوره الله كل ليلة جمعة، فمن زاره في ليلة الجمعة أدرك زيارة الرب له وزيارته للرب، وزيارة الرب له كناية عن افاضة خاصة من الرحمة عليه في ذلك الوقت، فمن أدركها لا يمكن ان يصير محروماً منها، ولا يتصور أن لا يناله نصيبٌ منها، وزيارته للرب كناية عن نهاية القرب، فإذا اجتمعا حصلت له خصوصية مرتبة من شمول الرحمة الإلهية.

وفي رواية أخرى: أنه من أراد أن ينظر الى الله يوم القيامة فليكثر من زيارة الحسين عليه السلام، فهذه ثلاث عبارات: زيارة الله، والزيارة مع الله والنظر الى الله،

وهي عبارة عن نهاية ما يتصور للمخلوق من الترقي الى درجات القرب، ولهذا جعلت هذه الصفة باباً مستقلاً، فإنّها تقابل جميع القضايا وتفوق عليها)[١].

الجذب الى المقامات المعنوية

ويُستفاد من الأحاديث الشريفة أنّ ما تتميز به الوسيلة الحسينية المقدسة هو سرعة ظهور آثارها في تطهير السالك الى اللّه تبارك وتعالى وتأهيله لبلوغ مقامات القرب العظيمة هذه وإيصاله إليها بحالة الجذبة التي أشرنا إليها آنفا؛ يقول العارف القرآني العلامة الطباطبائي (صاحب تفسير الميزان) في دروسه عن منازل السير والسلوك إلى الحق تبارك وتعالى: (وأكثر الذين حالفهم التوفيق في نفي الخواطر ونجحوا في تطهير أذهانهم وتصفيتها الى أن ظهر لهم سلطان المعرفة؛ إنما تحقق لهم ذلك في إحدى حالتين:

الأولى: حين تلاوة القرآن المجيد والالتفات الى صاحب هذا الخطاب ومَن الذي يخاطب بالقرآن في

---

١ الخصائص الحسينية: ٢٩٧ .

الحقيقة؛ حيث ينكشف له أنّه الحق جل جلاله.

الثانية: بطريق التوسل بحضرة أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام لأنّ له عليه السلام عنايات [وآثاراً] عظيمة في رفع الحجاب وموانع الطريق عن سالكي طريق اللّه)[١].

وينقل السيد إبراهيم خسروشاهي ان العلامة الطباطبائي كان يؤكد: (في أوامره الاخلاقية أو نقلاً عن أساتذته قائلاً: لم يصل أحدٌ الى مرتبة من المقامات المعنوية ولم تنفتح له أبواب التوجه القلبي إلا في الحرم المطهر للإمام الحسين عليه السلام أو بالتوسل به - سلام اللّه عليه -).

حفظ آثار الجذبة الحسينية

إنّ حالة «الجذبة» التي تتميز بها الوسيلة الحسينية قد تضعف آثارها إذا غفل الإنسان عن العوامل التي

---

١ رسالة «لب اللباب في سير سلوك اولي الالباب» تقريرات السيد محمدحسين الطهراني لدروس العلامة الطباطبائي السلوكية: ١٥٩ من طبعة انتشارات حكمت – طهران، بالفارسية .

أوجدتها وتلوث ثانية بالغفلة أو المعاصي الحاجبة له عن ربه، ولكنها لا تزول بالكامل بل تعاود الظهور ثانية، خاصة في الموارد التي يُبتلى فيها الإنسان باختيار أحد موقفين حاسمين، أحدهما: نصرة للحسين والرحمن، والآخر: اتباعاً للطاغوت والشيطان؛ وقد نبه لهذه الحقيقة الشيخ الشوشتري واعتبرها احدى خصائص الوسيلة الحسينية في الإنقاذ[1]، والشواهد العملية المعاصرة والتأريخية كثيرة وبعضها مشهور.

ولكن ينبغي للمؤمن أن لا يغفل عن الاجتهاد في العمل والسعي لحفظ آثار هذه الجذبة الحسينية بأعلى ما يمكنه من مستوياتها والتورع عن الغفلة والمعاصي التي تلوث الروح وتضعف الآثار المباركة لهذه الجذبة، فانّ حفظ هذه الآثار بمستوياتها الفضلى من شأنه أن يؤهل المؤمن لتلقي مراتب أسمى من جذبات الهداية الحسينية المقدسة؛ ولذلك تؤكد الأحاديث الشريفة (استئناف العمل) بعد القيام بأعمال التوسل بالحسين عليه السلام بعد أن تثمر هذه الاعمال تطهير الإنسان وجذبه الى

---

١ الخصائص الحسينية: ١٨ .

ربه الكريم[1].

العوامل المضاعفة لثمار التوسل بالحسين عليه السلام

ورغم أنّ الباب الحسينية واسعة والرحمات الإلهية النازلة عبرها تشمل الجميع إلاّ أنّ آثارها المباركة في الهداية والإيصال الى الحق - جلّ وعلا - تزداد متناسبة مع درجة التوجه القلبي الصادق للّه والإخلاص والمعرفة بحق الحسين والإخلاص في الاستعداد لنصرته والصدق في موالاته والبراءة من أعدائه مثلما يستفاد ذلك من الأحاديث الشريفة الواردة بشأن التوسل الى اللّه تبارك وتعالى به - سلام اللّه عليه-، والنصوص الشرعية الواردة لزيارته في مختلف المناسبات، فنلاحظ - مثلاً - إنّ الأحاديث التي تبشر بأنّ لزيارته ثمرة الإيصال الى مقامات القرب السامية تشرط ذلك بأن يكون الزائر «عارفاً بحقه»[2] عليه السلام كما في حديث الإمام الرضا

---

١ ثواب الأعمال: ١١٦ – ١١٧ .

٢ يراجع ثواب الأعمال: ١١٠ – ١١١، فقد روي عدة أحاديث بهذا المعنى، منها قول الباقر عليه السلام : «أدنى ما يثاب به زائر أبي عبد اللّه عليه السلام بشط الفرات إذا عرف

الذي نقلناه آنفا؛ ونصوص الزيارة تؤكد ترسيخ الإخلاص له والاستعداد لنصرته وإجابة دعوة مظلوميته وطلب ثأره مع سليله الإمام المهدي - عجل الله فرجه -.

ونلاحظ - مثلاً - كثرة الأعمال العبادية المرافقة لأخذ التربة الحسينية بقصد الاستشفاء، وهذه من خصوصيات تربة قبر الإمام الحسين مطلقاً لا يشاركه فيها أحد حيث يفتي الفقهاء بحرمة اكل الطين إلا من قبره عليه السلام وبقصد الاستشفاء، وتذكر الأحاديث الشريفة لذلك آداباً كثيرة وذات مدلولات خاصة، كالغسل في آخر الليل والتطهّر ولبس أنظف الثياب والتطيب وتلاوة سور من القرآن الكريم وإقامة صلوات مستحبة خاصة بذلك وضمن كيفية معينة، وتلاوة أدعية معينة بل وتحدد حتى كيفية خاصة لتناول التربة الشريفة ومقدار ما يتناول منها[1]، وتأكيدات

حقه وحرمته وولايته أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» .

١ يراجع مثلاً كتاب «مناهج المتقين في فقه أئمة الحق واليقين» للشيخ عبدالله المامقاني: ٤٣٤ – ٤٣٥ من الطبعة القديمة – مؤسسة آل البيت عليهم السلام – قم المقدسة.

هذه الأعمال والتوجه القلبي للّه تبارك وتعالى خلال تناولها للاستشفاء دفعت الفقهاء الى مناقشة مسألة هل يجوز تناول التربة الشريفة بدون الدعاء والأعمال الخاصة الواردة بهذا الصدد أم لا ؟ وإفتاؤهم بجواز ذلك، وقولهم بأن الأفضل هو قرن تناولها بالدعاء والكيفية الخاصة الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام[1]، وفي ذلك تأييد لما قدمناه من شمولية بركات التوسل بسيد الشهداء للجميع إلا أنّ رعاية شروطها يستجلب مزيداً من بركاتها ومستويات أسمى من آثارها.

قوة العبر السلوكية في نهضة الحسين عليه السلام

أما بصدد أسرار قوة آثار الوسيلة الحسينية وعظمة بركاتها في التوسل للّه تبارك وتعالى، فالقسم الأعظم منها إلهي لا ندرك كنهه ولا يمكن لأحد من غير المعصومين - صلوات اللّه عليهم - معرفته، ولكن القسم الظاهر منها غير قليل أيضاً وهو واضح قوي الدلالة، نشير

---

١ يراجع مثلاً كتب المناهل للفقيه الشهير السيد محمد الطباطبائي المجاهد: ٦٧٠ من الطبعة القديمة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام – قم المقدسة.

الى جوانب منه وخاصة ما يرتبط بالذات بالهداية الى اللّه - عز وجل - والسلوك إليه.

الجانب الأول يرتبط بقوة العبر السلوكية التي جسدها سيد الشهداء في نهضته التضحوية المقدسة وهي كثيرة وبالغة الدلالة ولا نظير لها؛ فقد اشتملت على أسمى صور بذل الغالي والنفيس طاعةً للّه وسعياً لرضاه وجسدت بذلك أسمى صور العشق الإلهي المقدس الذي يعتبر وقود حركة السالك الى الحق تبارك وتعالى، أسمى صور الرضا والتسليم للإرادة الإلهية - رغم كل الصعاب وعظمة المصاب والتضحيات - وهذه أعلى مراتب العبادة[1].

فجسد عليه السلام بذلك صورة فريدة (للفناء المحض وكمال العبودية للّه تعالى وعدم الاعتناء بما سواه، وأنه لا يرى نفسه شيئاً، وذهل عن نفسه مع كمال

---

١ رسالة «عروض البلاء على الأولياء»، السيد محمد هادي الحسيني المنشورة في العدد (٣٧) من مجلة تراثنا : ٢٢٦، وهي رسالة قيّمة على صغرها في توضيح جانب من اسرار الشهادة الحسينية .

قربه...)[1]. ويتجلى هذا التسليم والرضا في قوله عليه السلام : «هوّن ما نزل بي أنّه بعين الله»[2].

بل كان يستقبل كل تلك المصائب باستبشار لأنّها كانت تمثل بشائر اللقاء؛ فقد روي أنّ: (الحسين - صلوات اللّه عليه - وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم...)[3]؛ يقول العارف الميرزا جواد الملكي التبريزي في تفسير لطيف لهذه الحالة: (فكأنه عليه السلام عاهد الحبيب على أن يتحمل في رضاه القتل بكل ما يُقتل به سائر المقتولين من الذبح والنحر والصبر والجوع والعطش والأحزان وغيرها، ولكن كان يصل - مع ذلك - الى روحه الشريفة من بهجات تجليات أنوار الجمال وكشف سبحات الجلال وشوق اللقاء والوصال ما يهون به تلك الشدائد بل يحول شدتها الى اللذة، ولكن المصيبات والشدائد الواردة على جسده المبارك وعلى قلوب أهل

---

١ المصدر السابق .

٢ المصدر السابق: ٢٢٥ .

٣ معاني الاخبار للشيخ الصدوق، باب معنى الموت: ٢٢٨ .

بيته المحترمين وما هتك في الظاهر من حرمته انما يذهب الأرواح ويهيج الأحزان...)[1].

التجهز بالوقود السلوكي

وبتأثير هذه العبر السلوكية العظيمة فإنّ التفاعل مع القضية الحسينية والتدبر فيها يجهز السالك إلى الحق تبارك وتعالى بالوقود اللازم لتحمل صعاب الجهاد الأكبر - فضلاً عن الأصغر الذي أشرنا إليه في بداية الحديث - وصعاب المجاهدات والرياضات الشرعية وصعاب إزالة العقبات الصادة عن سبيل اللّه؛ بحكم قاعدة التأسي والاستقواء على الصعاب باستشعار معية الآخرين في هذا الطريق، وخوض السابقين لغماره وتغلبهم على صعابه، فتهون على السالك صعاب مجاهداته الشرعية عندما يتدبر في عظمة الصعاب والمحن التي نزلت بسيد الشهداء عليه السلام واستقبلها باستبشار لعظمة الثمار الناتجة عن الصبر عليها؛ يقول السيد محمد هادي الحسيني ضمن تعداده لعلل نزول المصاب

---

١ كتاب «المراقبات، أعمال السنة »، الميرزا جواد الملكي التبريزي: ١٢، طبعة قم المقدسة .

على الأولياء: «الخامس: ظهور علو مقام ذلك العبد وسمو مرتبة تلك العبادة[1] حتى يتأسى به المتأسون... .

السادس: حتى يهون الخطب والكرب على سائر الخلق في عالم الكون والفساد، فهذا لطفٌ من اللّه تعالى ومن أوليائه، بل أعظم نعمةٍ على العباد، ولذلك قد اجتمع للحسين عليه السلام من كل ما يتصور من أنواع البليات والمصيبات أعظم الأفراد، حتى يتسلى بملاحظته أرباب المصائب، ويتوجه كل مكروب الى اللّه تعالى ويبكي بتذكر ما يوافق كربه وشدته من مصائب الحسين عليه السلام فيسأل اللّه كشف كربه فيقضي حاجته البتة، وقد جربنا ذلك، وهذه غنيمة اُهديت إليك فاحتفظ بها بعون اللّه.

السابع: حتى لا يتعرض سائر الخلق ويسلموا، وترضى خواطرهم إذا رأوا مقاماتهم العالية في الدنيا والآخرة... .

---

١ ورد في هامش الرسالة توضيح من المحقق هو: «المراد بالعبادة ذلك البلاء الذي يتحمله العبد قربة الى الله وفي سبيل دينه» .

الثامن: حتى يستحقوا المثوبات العظيمة والأجور الثمينة، فإن الأجر على قدر المشقة... .

الحادي عشر: إنّ الضغطات العارضة على النفس، والاصطكاك الوارد على الروح والصدمات الواقعة على الجسم نظير الزناد القادح، فكما أنّه لا تخرج النار من الحجر إلا بشدة ضرب الزناد، كذلك التنورات القلبية والاشعة الروحية لا تعقل فعليتها إلا بتلك الآلام والمصائب، أمّا سمعت قول سيد الأنبياء صلى اللّه عليه وآله لسيد الشهداء عليه السلام: «إن لك درجة لن تنالها إلا بالشهادة»، فتلك الدرجة هي القوة النورية المكنونة في ذاته المقدسة وفعليتها كانت متوقفة على الشهادة... .

الثالث عشر: إن العبد إذا علم من نفسه أنّ البلاء ليس من جهة البعد من اللّه، بل إنّه من جهة قربه إليه تعالى، وحبه له بظهور كمال صبره ولياقته للمثوبات وعلو الدرجات، وعَلِمَ بما ذكرنا من الجهات، يستبشر بتلك البليات ويستأنس بها، ألم تسمع عن شهداء الطف كيف كانوا يأنسون لوقع السيوف وإصابة

السهام... .

وكان سيدهم الحسين عليه السلام كلما اشتد عليه البلاء تهلل وجهه وزاد نوره وقوى قلبه... وبذلك تعرف: أنّ من فدى روحه في الحج، وضحى بنفسه بدل الأضحية شوقاً وعشقاً للّه تعالى هو في أعلى مراتب القرب والقبول...»[١].

العرفان للجميل الحسيني

ويضاف الى هذه العبر السلوكية المهمة والعظيمة التأثير، التدبر في حقيقة أنّ الإمام الحسين عليه السلام تطوع لتحمل كل هذه الخطوب الجليلة وضحى بنفسه الشريفة وبأولاده وصفوة أهل بيته صغاراً وكباراً وعرّض عياله للأسر والمحن لينقذ العباد من الضلالة والاقتداء بالمضلين الهالكين المهلكين[٢] من غاصبي خلافة الرسول صلى اللّه عليه وآله ويحفظ الدين المحمدي النقي نبراساً يهتدي به المؤمنون الى اللّه عزّ وجل.

---

١ رسالة عروض البلاء: ٢٢٨ - ٢٤٤ .

٢ المراقبات: ١٣ .

فالتدبر في هذه الحقيقة يزيد من اندفاعة السالك الى اللّه المتوسل بسيد الشهداء للسير في طريقه المقدس عرفاناً للجميل الحسيني ووفاء للمضحي بنفسه وكل ما يملك لحفظ طريق الهداية هذا، ويضاعف من اندفاعته لنصرته وحفظ أهدافه وفي ذلك الفوز العظيم:

(... وقد تحمل سيد الشهداء هذا العطش العظيم ليسقي شيعته من عطش يوم القيامة بالرحيق المختوم، فيجب بحكم كرائم الصفات في الوفاء والمواساة ان يبذل شيعته أيضاً ما بذله - صلوات اللّه عليه - لهم ويفدوا بأنفسهم له كما فدى لهم بنفسه...)[١].

وبالطبع فإنّ تضحيتهم في سبيله تعود فائدتها عليهم لعظمة فوزهم بها، وهذا من مظاهر سعة الرحمة الإلهية النازلة على العباد ببركة الوسيلة الحسينية، فحتى التنبيه الى واجب الوفاء والمواساة هو بهدف ترغيب المؤمنين في نصرته لإيصالهم الى ثمارها العظيمة وليس إيصال شيء لسيد الشهداء عليه السلام.

---

١ المصدر السابق .

تفجير طاقات التغيير

كما أنّ التفاعل الوجداني مع مصيبة سيد الشهداء والتوسل الى اللّه تبارك وتعالى به مع ملاحظة كل تلك العبر السلوكية العظيمة التي تجسدت فيها والبكاء على مصابه يفجّر في السالك الى الحق - عزّ وجل - طاقة تغييرية عظمى تعينه على التغلب على جميع أعدائه في الداخل والخارج؛ فهي تفجر فيه روحاً ثورية قوية رافضة للظلم - بتأثير بشاعة الظلم الذي أنزله الامويون وأذنابهم بالحسين وعياله والعترة الطاهرة - سواء كان الظلم داخلياً من النفس الأمارة بالسوء أو خارجياً من الطواغيت وأمثالهم.

وفي تأجج روح الرفض للظلم أياً كان مصدره عون للسالك لاجتناب الوقوع في المعاصي لأنّه ظلم للنفس واجتناب الخضوع للطواغيت لأنّه خضوع للظلم، أي أنّه عون للسالك على خوض كلا الجهادين الأصغر والأكبر.

لذا لا غرابة - مع ملاحظة كل هذه الثمار العظيمة للتوسل بالوسيلة الحسينية - أن نجد جميع الأولياء حتى الأنبياء - صلوات اللّه عليهم - يتوسلون الى اللّه تبارك

وتعالى بها، نظير ما ورد بصدد تأسي النبي إسماعيل صادق الوعد بالمصاب الحسيني[١] ونظير ما ورد في الأحاديث الشريفة أنه حين التقى موسى الخضر عليهما السلام كان أول ما تذاكرا فيه هو أنّ العالم (الخضر) حدث موسى عليه السلام بمصائب آل محمد حتى اذا بلغ حديث الحسين عليه السلام علت أصواتهما بالبكاء[٢].

فمعلوم أنّ مجيء موسى للخضر عليهما السلام كان بهدف المرور بدورة تربوية سلوكية مهمة تحدّث عنها القرآن الكريم وأشار الى صعوبتها على لسان الخضر، وقد اهتم أهل المعرفة كثيراً بالحديث القرآني عنها لاشتمالها على أُمهات القضايا السلوكية وآداب السالك الى الله تبارك وتعالى والعوامل المؤدية الى وصوله الى مقصوده.

ومن ذلك ندرك أهمية التوسل بالوسيلة الحسينية في تحقيق أهداف الحركة السلوكية، فيبدو أنّ بدء

---

١ النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين للسيد نعمة اللّه الجزائري: ٣٥٧، نقلاً عن كتاب معاني الأخبار للشيخ الصدوق.

٢ بحار الأنوار ١٣: ٣٠١ .

الخضر بذكر مصائب آل البيت النبوي والإمام الحسين بالخصوص استهدف تجهيز موسى بالطاقة الثورية والتغييرية اللازمة للمرور في هذه الدورة السلوكية المهمة الخطيرة التي يمكننا أن ندرك أهميتها وأهمية المعارف التي حصل عليها فيها؛ من ملاحظة أنّ اللّه أمره بها بعد بعثته بمدة طويلة كما تصرح بذلك الأحاديث الشريفة.

وسائل التقرب لله تعالى بالحسين عليه السلام

ونختم الحديث هنا بإشارات مختصرة للأعمال التي تأمر بها الأحاديث الشريفة للتقرب الى اللّه تبارك وتعالى بالوسيلة الحسينية عسى أن نتوفق لتفصيل الحديث عنها في فرصة لاحقة بأذن اللّه. أما أهم هذه الأعمال فهي:

١- التقرب الى اللّه تبارك وتعالى بمعرفة مقام سيد الشهداء كما أمر بذلك جده الأكرم صلى اللّه عليه وآله حيث روي أنّه أخذ بيده ورفعه وأجلسه على المنبر قدامه أو في حجره فقال: «أيها الناس هذا الحسين بن علي، فاعرفوه، وفضلوه كما فضله الله». ثم أخبر بقتله ثم

دعا على قاتله وخاذله ثم استودعه عند كل مؤمن[1].

والتقرب الى اللّه عزّ وجل بمعرفة الحسين عليه السلام هو بحد ذاته وسيلة تؤتي ثمارها في إيصال السالك الى بغيته لما لها من تأثير بالغ في سلوك سبيله ونصرته، كما أنها من جهة أخرى تعاضد آثار وسائل التقرب الأخرى كمحبته وزيارته والبكاء على مصيبته، وإقامة شعائره كما لاحظنا فيما تقدم.

٢- محبته عليه السلام؛ فقد روي عن الرسول الأكرم صلى اللّه عليه وآله أنّه صعد المنبر ودعا الناس عامة الى التوسل الى اللّه تبارك وتعالى بمحبته حيث قال بعد أن أخذ بيده عليه السلام: «ايها الناس، هذا الحسين بن علي عليهما السلام فاعرفوه، فوالذي نفسي بيده إنّه في الجنة ومحبيه في الجنة ومحبي محبيه في الجنة»[2].

ومعلوم أنّ المحبة الصادقة تؤدي الى التأسي بالمحبوب والاقتداء بفعاله عليه السلام وفي ذلك الفضل العظيم، كما أن المحبة الصادقة - كالمعرفة

---

١ الخصائص الحسينية: ٣٦٤ .

٢ بحار الأنوار ٦٣: ٣٦٢، وقريب منه في ٢٧: ١٣٦ .

- تعين المؤمن على التوسل الى اللّه به عليه السلام بالوسائل الأخرى المأمور بها.

٣- البكاء عليه؛ وقد ورد بصدده الكثير من التأكيدات في الأحاديث الشريفة التي فصلت الحديث أيضاً عن عظمة آثاره الدنيوية والأخروية: كالنجاة من العقاب وأهوال القيامة والفرح يوم الحساب، وغفران الذنوب، والفوز بآثار إدخال السرور على قلب النبي وعترته الطاهرة، والحظوة بدعائهم للباكين على الحسين، والفوز بنعمة الترقي في مراتب الجنان ورفيع الدرجات ومرافقة النبي وآله فيها، والحظوة بمحبة اللّه والنظر الى الكوثر وغير ذلك من مظاهر الأجر الجزيل[١].

ولكل ذلك مظاهر وبركات في الحياة الدنيا وفي قضاء الحوائج المادية والمعنوية والإعانة على بلوغ الأماني الشرعية.

ويستفاد من الأحاديث الشريفة أنّ للبكاء على سيد المظلومين عليه السلام مراتب كثيرة تتناسب الآثار المذكورة له مع ارتفاع هذه المراتب؛ والمعيار فيها

---

١ راجع العنوان السادس من كتاب «الخصائص الحسينية»

هو عمق التفاعل الوجداني مع مظلوميته ومظاهرها المختلفة وأوجه عظمة تضحياته الجسام؛ والذي يعين ذلك مطالعة ما ورد في الأحاديث الشريفة بصدد كل ذلك والتدبر فيها وتعرّف أسرار شهادته وعدم الغفلة عن مطالعة قصة مقتله؛ وقد كان بعض العلماء الربانيين يوصي أولاده بقراءة ذلك يومياً[١]، كما أن مما يعين على ذلك إزالة العوامل المانعة للتفاعل الوجداني مع مظلوميته، تلك العوامل التي تقسي القلب وتجمد العين عن البكاء.

٤- اقامة مجالس العزاء؛ وقد ورد الحث الأكبر عليها في الأحاديث الشريفة بمختلف مظاهرها وخاصة في رثاء سيد الشهداء في المحافل العامة والخاصة والإبكاء[٢]، وتحدث عن إقامة هذه المجالس حتى من قبل الأنبياء والأئمة - صلوات الله عليهم أجمعين - قبل استشهاده عليه السلام وبعده[٣]، وهي تشتمل

---

١ هو: العلامة المامقاني في وصيته لابنه الموسومة بمرآة الرشاد.

٢ ثواب الأعمال: ١٠٨ - ١١١ .

٣ الخصائص الحسينية: ١٨٨ - ٢٤٣ .

على الكثير من البركات بمختلف أقسامها ولمختلف المستويات الإيمانية كما هو مشهود ومعروف، فهي (المأدبة الإلهية والمائدة الربانية)[1] التي يستطعم منها كل إنسان حسب سعته الروحية واستعداده لها، وهي من المصاديق البارزة لنصرة سيد الشهداء عليه السلام وأهدافه الإلهية ومن ثمّ فهي من أوضح مصاديق نصرة العبد لربه الكريم التي تستنزل نصرة اللّه له في مجاهداته الشرعية؛ والمهم فيها: (أن يقصد الإنسان بذلك إظهار موالاة أولياء اللّه ومعاداة أعاديه)[2]، إضافة الى أصل التقرب الى اللّه عزّ وجل بذلك، كما هو حال سائر الوسائل الأخرى.

٥- زيارته؛ وقد ورد من التأكيد بصددها أكثر من جميع الوسائل الأخرى في الأحاديث الشريفة، ولعل سر ذلك - أو أحد أسراره - أنّها تستجمع جميع وسائل التقرب الأخرى إضافة الى ثمارها وبركاتها الخاصة، وقد

---

١ رسالة عروض البلاء على الأولياء: ٢٣٦، العدد (٣٧) من مجلة تراثنا.

٢ كتاب الإقبال بالأعمال الحسنة: ٥٤٤، من الطبعة القديمة.

تقدمت إشارات الى شدة تأكيدها فيما سبق.

وقد ذكرت الأحاديث الشريفة لها من الثواب والآثار ما يجمع آثار وثواب معظم العبادات والأعمال الصالحة بأكمل صورها، كالحج والزكاة والجهاد والغزو والعتق والصوم والتسبيح والتهليل وصلة الأرحام والإحسان والإطعام وزيارة المؤمنين وعيادة المريض المؤمن وتجهيزه وإدخال السرور على قلوب المؤمنين والأولياء وغير ذلك.

كما تحدثت عن زيارة الأنبياء والأولياء والملائكة لقبره وبينت الخصوصيات الخاصة التي أحاطته الرحمة الإلهية بها، كاستجابة الدعاء تحت قبته والاستشفاء بتربته وحشر الزائر له مع أنصاره والمستشهدين بين يديه وغفران ذنوبه الى غير ذلك؛ كما تحدثت عن خصوصيات الأوقات الخاصة لزيارته وآثارها، كليلة عاشوراء ويومها وليلة الجمعة ويوم عرفة - الذي ينظر فيه اللّه تبارك وتعالى الى زوار عبده ووليه الحسين قبل أن ينظر الى ضيوفه الواقفين في عرفات[1] - وليالي العيدين

---

١ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ اللّه تبارك

والنصف من شعبان والليالي الست والأيام الستة في شهر رمضان وغيرها من المواسم الخاصة لزيارته.

الحفاظ على الأصل التوحيدي

ومن المهم أيضاً لتحصيل الثمار المطلوبة من مصاديق التقرب الى الله تبارك وتعالى بالوسيلة الحسينية المقدسة - وخاصة في الجانب السلوكي والسير الى الله وإضافة الى ما ذكرناه في طيات الحديث - هو أن يحفظ السالك الجانب العبادي لهذه الأعمال الصالحة، ويحفظ الصبغة التوحيدية في التقرب الى الله عز وجل بها وإخلاص النية في القيام بها بمختلف أنواعها والاهتمام بأسرارها.

والحمد لله على نعمه كلها والصلاة والسلام على خير الأنام محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأطهار واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات ويقضي حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفعهم في مسائلهم، ثم يثني بأهل عرفات فيفعل ذلك بهم» ثواب الأعمال: ١١٦ .